1443 ه الموافف 2022

تدبر سورة القلم

من عدة تفاسير معربط اقوال المفسرين ببعضها

الأستاذة:ريم عبد الفتاح

شمل التدبر خمس خطوات كالتالي:

الخطوة الأولى: مدخل للسورة وبيان هل هي سورة مكية مدنية أم مدنية، عدد الآيات موضوعات السورة، اسمائها وفضلها.

الخطوة الثانية: تفسير السورة من عدة تفاسير ونقل أراء المفسرين وربطها ببعضها بالتدرج وبطريقة سهلة وسلسة.

الخطوة الثالثة: تفسير السورة كلمة كلمة.

الخطوة الرابعة: تحليل آيات المتشابه اللفظي في السورة ونقل أراء العلماء قديماً وحديثاً.

الخطوة الخامسة: كيف نتدبر السورة؟ كيف نمرر السورة على قلوبنا؟

مفرغة من دروس الأستاذة: ريم عبد الفتاح جزاها الله عنا خير الجزاء.

لسماع الدروس صوتيا ادخلي لقناة تدبر القرآن خلال الرابط

https://t.me/joinchat/O7sPAy6MMo0RKzJC

الدروس المقروءة والتفريغات للنساء والرجال والدروس الصوتية للنساء فقط

السلام عليكن ورحمة الله وبركاته. بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ثم أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وإن خير الهدي هدي محمد ﷺوإن شر الأمور محدثاتها وأن كل محدثة بدعة وأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. اللهم إنا نسألك علما نافعًا ونعوذ بك من علم لا ينفع اللهم إنا نسألك علمًا يباشر قلوبنا فتخشع وتنيب وتخبت لك يا رب العالمين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم يا رب العالمين. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. الحمد لله يا أخواتي أن منَّ الله عز وجل علينا بهذا المجلس

الله عز وجل أن يبارك لنا وأن ييسر لنا أمرنا وأن يوفقنا دوما للعلم النافع والعمل الصالح اللهم وفقنا دومًا يا رب للعلم النافع والعمل الصالح.

ولكي ننتفع بالعلم يا أخواتي لابد من أمرين: أولًا: تطهير القلب لأن العلم ينتفع به صاحب القلب الطاهر الخاشع {ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد.} فالذي ينتفع بالعلم صاحب القلب الخاشع الطاهر. أسأل الله عز وجل أن يرزقنا قلوب خاشعة طاهرة.

ثانيًا: لا بد من العمل بالعلم

{ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم اشد تثبيتا} العبرة بالفعل (فعلوا) ليس أن استمع إلى درس علم وانتهى الأمر. لكن لابد أن أعقد العزم من البداية على العمل

اسأل الله عز وجل أن يوفقنا للعمل، وأن يفتح لنا فتحًا مبينًا وأن ييسر لنا كل أبواب الخير بحول الله وقوته.

مدخل السورة

سورة القلم مكية، مكية أي نزلت قبل الهجرة كما وضحت. سورة القلم الهدف منها بصورة عامة:

دعوة لتوثيق العلم، هذه السورة هي ثاني السور ونزلت بعد العلق بعد سورة اقرأ، فجاء دور الحث على توثيق هذا العلم ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

لأن سورة العلق أول ما نزلت اقرأ فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقارئ كما نعلم حديث جبريل مع النبي ﷺ إلى أن قال جبريل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق1 :2].

فسورة القلم كأنها توثيق للعلم لأن العلم يوثق بالقلم، اقرأ الأول نلاحظ أهمية العلم أول سورة تدعو إلى القراءة وثاني سورة نزلت تدعو إلى توثيق العلم فهي ثاني السور بعد سورة العلق فجاءت كأنها حث على توثيق هذا العلم لأن العلم يوثق بالكتابة ويوثق بالقلم، فالعلم يوثق بالكتابة ولذلك ورد ذكر القلم المتعارف على وظيفته بالكتابة، القلم وظيفته الكتابة والتدوين فهو وسيلة لتثبيت العلم، وكلما وثقنا العلم كان هذا سلاحًا في الدعوة. وكلما كان العلم موثقا بالتسجيلات، وبالقلم وبكتابته كان هذا سلاحًا في الدعوة وكان للمسلمين مكتبة عامرة بالعلوم هي مكتبة بغداد، فلابد أن نحرص نحن في هذا العصر أيضًا على توثيق العلم وتأتي السورة أيضًا في وصف أخلاق النبي ﷺوما يتحلى به كداعية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. فالنبي ﷺ هو سيد الدعاة وأشرفهم وأيضًا السورة تتحدث عن أخلاقه أخلاق الداعية عامة فالنبي ﷺهو سيد الدعاة والسورة أيضا تذكر بالمقابل من كانت أخلاقه سيئة مثل أصحاب الجنة فلا يصح لأي داعية أن تكون أخلاقه سيئة فعليه أن يقتدي بأخلاق النبي ﷺ هذا بإجمال الهدف التي تدور حوله السورة. التي بدأت بأسلوب القسم وتناولت موضوع الرسالة والشبهة التي أثارها كفار مكة حول دعوة النبي ﷺ، وقصة صاحب الجنة البستان لبيان نتيجة الكفر بنعم الله كما وضحت وما

أعد الله للفريقين المسلمين والمجرمين. ولكن المحور الذي تدور حول السورة هو إثبات نبوة النبي ﷺ

تناسب سورة الملك مع سورة القلم في أواخر سورة الملك قال الله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الملك:29] و في سورة القلم الله قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ربنا يعلم من هو ضل ومن المهتدي؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بهذا نكون انتهينا من الخطوة الأولى في تفسير سورة القلم، هو مدخل للسورة، وضحت أنها مكية ووضحت الهدف منها، ووضحت تناسب سورة القلم مع خواتيم سورة الملك.

الخطوة الثانية: تفسير السورة كلمة كلمة

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (ن) من الحروف المقطعة، الحروف المقطعة مثل (ألم، كهيعص، ن، حم) هناك من تعرض لتفسير الحروف المقطعة كابن عباس، قال: (الم) أنا الله أسمع، (الر) أنا الله أرى وهناك من الصحابة كأبي بكر من لم يتعرض لتفسير الحروف المقطعة في كتاب الله. وقال: أي السماء تظلوني وأي أرض تقلوني إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم، يعني أبي بكر قال: الله أعلم بمعاني الحروف المقطعة، (الم، كهيعص، ص، حم، ن) عليه هنالك صحابة كأبي بكر لم يتعرض لتفسير الحروف المقطعة وصحابة كابن عباس تعرض لتفسير الحروف المقطعة وهذا باختصار شديد.

وهناك من أهل العلم من قال: وهذا رأي قوي وراجح قال: أن الحروف هذه أتى الله بها في أوائل السور تحدي للعرب أن هذا القرآن مكون من هذه الحروف، مكون من (الم) مكون من (ن) مكون من (كهيعص) فأنتم أيها العرب تعرفون هذه الحروف جيدا فإذا انتم تعرفوا هذه الحروف جيدا، فأتوا بكتاب مثله، فاتوا بمثل هذا الكتاب هذا الكتب مكون ومؤلف من هذه الحروف التي تعلمونها جيدًا فلماذا لا تستطيعوا أن تأتوا بمثل

هذا الكتاب ففيه تحدي للعرب، خاصة إن بعض السور لما أتى في بدايتها حروف مقطعة ورد بعدها ذكر الكتاب ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة1 :2].

وهناك خمس سور تبدأ بالحروف المقطعة، وليس ورائها مباشرة لا ذكر القرآن ولا الكتاب، لكن لما تتلوا السورة كاملة، ستجد في داخلها ذكرًا للكتاب والقرآن أو الكتاب وحده أو القرآن وحده أو الذكر. والمسألة الثانية: أنها هي جميعها في نهايتها كلام على القرآن، فكأنها تأخذ الأول والآخر، في البداية (الم) وفي الآخر كلام يعني هي كله كلام عن القرآن والذكر، أربعة وعشرين موضع، عندما يكون أربعة وعشرين موضع يأتي بعدها الحروف المقطعة ذكر القرآن أو الكتاب، يبقى الله ﷻ يقول للعرب: أنتم تعرفون هذا القرآن مكون من هذه الحروف التي تعرفونها فأتوا بمثله.

مثلاً في سورة مريم مثلا: ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم1 :2] لم يأت ذكر الكتاب ولا القرآن في أول السورة ولكن أتى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:16] فذكر الكتاب في السورة وفي نهاية السورة: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ...﴾ [مريم:97]

سورة العنكبوت: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:2] فلم تذكر الكتاب والقرآن مباشرة، لكن أتى في خلال السورة: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت:47].

أيضًا سورة الروم: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم1 :3] لم يأت ذكر الكتاب أو القرآن بعد (الم) لا يوجد قرآن ولا كتاب ولكن لما نمضي في أثناء السورة: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:28] وفي الختام: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ...﴾ [الروم:58].

ايضاً في سورة الشورى: ﴿حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى1 :3] يوحي بهذا الوحي ويوحي بهذا القرآن، بما يوحي بالقرآن و في سورة القلم التي بين أيدينا: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:1]. ذكر القلم مباشرة بعد (ن) يعني (ن) حرف من الحروف المقطعة، وأنتم تعرفون (ن) وتعرفون (ق) وتتعرفون (الهاء) وتعرفون (الم) وتعرفون أيها العرب ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ذكر القلم مباشرة فهذا القلم الذي يسطر لماذا لا تستخدموه في المجيء بمثل هذا الكتاب.

وفي سورة القلم أيضًا ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:15] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:51] فالذكر هو القرآن.

الله يقسم بالقلم، هو اسم شامل للأقلام تكتب بها أنواع العلوم فالقلم يكتب به العلم ويسطر به المنثور والمنظوم، وما يريد أن يكتبه الإنسان وذلك أن: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ به من أنواع الكلام يعني من آيات الله العظيمة التي تستحق أن يقسم الله بها، فالله يقسم بالقلم لأنه هو الذل يكتب به العلوم ويكتب به المنثور والمنظوم ويكتب به كل شيء فيستحق أن يقسم الله ﷻ على براءة نبيه ﷺ مما نسبوا إليه أعدائه من الجنون فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، ربنا يقسم: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يسطرون به وما يكتبون به.

فالقلم يسطر به كل شيء ويكتب به كل شيء من أنواع الكلام وكل ما يريده الإنسان يستطيع أن يكتبه القلم، على ماذا أقسم الله هنا قسم مثلا يقول: والله لأجتهد الواو حرف القسم، أنا أقسمت بمن؟ أقسمت بالله، المقسم به هو الله والله لأجتهد المقسم عليه أنا أقسمت عليه هنا والقلم الله ﷻ يقسم بالقلم، كما تعلمنا الله له أن يقسم بما شاء ولكن نحن لا نقسم إلا بالله وحده.

فالله أقسم بالقلم لأهميته، لأنه هو الذي يسطر به ويكتب به كل شيء لكن نحن لا نقسم إلا بالله والذي يقسم الله به يدل على أهميته، الله أقسم بالعصر وأقسم بالشمس فيدل على أهميته لكن نحن «من كان حالفًا فليحلف بالله» من حلف بغير الله فقد أشرك، نحن لا يجوز أن نقول: والقلم لا يجوز أن أقسم إلا بالله لكن الله يقسم بما شاء، يقسم بالقلم، يقسم بالشمس، يقسم بما يريد سبحانه وتعالى.

على ماذا أقسم الله؟ كما وضحت لك (والله لأجتهد) أنت المقسم به هو الله أني أجتهد أنت أقسمت أنك ستجتهد ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ الله ينفي عن النبي ﷺ الجنون، لأنهم إدعو كذبًا على النبي ﷺ أنه اتهموه بالجنون واتهموه بهذا، فالله أقسم على أن النبي ﷺ ليس بمجنون، بل له العقل الكامل، والرأي السديد. أنت لست مجنونًا كما يدعي الكفار المشركون، الله يقسم بالقلم الذي يسطر به الكلام الذي يكتب به الكلام الفصل، الذي يكتب به الكلام، الله ﷻ أقسم بالقلم الذي يسطر الكلام، والذي يكتبه على أن النبي ﷺ له العقل السديد وما هو بمجنون كما ادعى هؤلاء المدعون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ وإن لم لأجرا عظيمًا أجرا هنا نكرة و لم يقل: وإن لك الأجر التنكير يدل على التعظيم، يعني ه أجر عظيم لا يستطيع الإنسان أن يحده أو أن يصل إليه، فالتنكير دائمًا يدل على التعظيم، غير ممنون غير منقطع دائم مستمر الأمة كلها اهتدت على يد النبي ﷺ وكان الله جعل هداية الأمة على يد النبي، ﷺ فكم له من أجر عظيم دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي ﷺ من الأعمال الصالحة والأخلاق الكاملة: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ بسبب أنه هدى الأمة هدى الله ﷻ به الأمة وأخرجها من الضلالة لذا أثنى الله ﷻ على أخلاقه بعدها. النبي كان له أعمال عظيمة، وأخلاق كاملة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. عاليًا مستعليًا بخلقك التي من الله ﷻ بها عليك وإنك لعلى على تدل على العلو وتدل على صاحب الهدى ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:24]. صاحب الهدى مستعل به، وصاحب الخلق مستعل بخلقه، فقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى﴾

لم يقل: وإنك في خلق وإنك لعلى لأن الأخلاق يرتفع بها الإنسان وتعلو مكانته ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ مستعل بخلقك وما خلق النبي ﷺ فصلته أمنا عائشة رضى الله عنها حين سئلت فقالت: لمن سألها كان خلقه القرآن فسبحان الله كان خلق النبي ﷺ القرآن، يأتمر بأوامره وينزجر بنواهيه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199].

فالإنسان يأخذ ما عفى من أخلاق الناس ويأمرهم بالمعروف ويأمرهم بالطيب ويعرض عن الجاهل ولا يلتفت إليه حتى لا يضيع وقته، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ..﴾ [آل عمران:159].

هكذا كان النبي ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:128].

فكل هذه تدلل على اتصاف النبي بمكارم الأخلاق وعظيم الأخلاق هو في كل خصلة منها يأتي بالأجمل والأكمل في الذروة العليا، النبي كان سهلًا لينًا قريبًا من الناس، مجيبًا للدعوة إن دعاه أحد يقضي حاجة من يطلب منه جابرًا لقلب من سأله يجبر الخواطر لا يحرم السائل، ولا يرد خائبًا وإذا عزم على الأمر لم يتشبث به دونهم بل يشاور أصحابه يشاورهم في الأمر ويقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم العشرة وأحسنها فلا يعبس في وجه أحد و لا يغلظ القول، يحسن العشرة غاية الإحسان ويحتمل من غيره غاية الاحتمال.

فالله أقسم على نفي الجنون عن النبي ﷺ كما اتهمه المشركون والكفار بهذا، فالله أقسم بالقلم: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ما أنت بمجنون، يعني قد أديت ما عليك، فسبحان الله لا كما يقول الجهلة من قومك المكذبون بما جئت، المكذبون بما جئت، فنسبوك إلى الجنون أو غير ذلك فهذا كله باطل.

فالله أقسم أنه ليس بمجنون كما قال قومه ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾. كما قال ابن كثير: لك الأجر العظيم والثواب الجزيل، على إبلاغك رسالة ربك والصبر على الأذى، غير ممنون غير مقطوع. قال الله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:108] يعني غير منقطع غير مقطوع وقال مجاهد غير منون أي غير محسوب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كما وضحت المرة الماضية لما السيدة عائشة سئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: كان خلقه القرآن.

ابن عاشور يقول في التحليل والتنوير: أن القسم بالقلم والكتابة للإيماء بأن باعث الطاعنين على الرسول ﷺواللاميزين له بالجنون، الذين اتهموه بالجنون بسبب هذا الكتاب الذي أتى به النبي ﷺ.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾

أيضا هذه الجملة مؤكدة بحرف إن وبلام الابتداء لأجراً وبتقديم المجرور ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ كل هذه مؤكدات على الأجر والثواب العظيم للنبي ﷺ الله يثيبه في الآخرة وينصره في الدنيا وممنون يعني مقطوع. ممنون لا يلحقه فيه من اي ليس فيه أذى، لأن المن من الأذى الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة:264].

فممنون قد يكون بمعنى غير ممنوع غير مقطوع لا ينتهي، قد يكون المعنى ليس فيه أذى ليس فيه من، غير ممنون يعني لا أحد يمن عليك به فالمن فيه أذى، فغير ممنون يعني لم يلحقك فيه من أو أذى، لأن المن من الأذى.

وكما وضحت أن على تفيد الاستعلاء: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ تدل على الاستعلاء كما قال الله ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ...﴾ [البقرة:5]

فهنا على أفادت الاستعلاء، تمكن الخلق الكريم من النبي ﷺ فهنا على أفادت التمكن، التمكن تمكن الخلق العظيم من النبي ﷺ فهو تمكن منه الخلق العظيم في نفسه ومتمكن في دعوته الدينية فالنبي متمكن من هذا الخلق في نفسه ومتمكن منه أيضًا في دعوته. لأن حرف الاستعلاء على أفاد التمكن أنه على هذا الخلق العظيم المتمكن

منه، كما قال الله ﷻ: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ...﴾ صاحب الهدى مستعل به كما وضحت.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾

لما رمى الكفار النبي ﷺ بالجنون، الله قال : ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ تبين أن النبي ﷺ أهدى الناس أكمل الناس، وأن أعدائه أضل الناس وشر الناس. فستبصر ويبصرون جميعًا أيكم المفتون أي الذي فتن بالجنون.

قال ابن عباس في ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة وقيل: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل.

﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ الباء هنا زائدة، أي ستبصر وتبصرون أيكم الذي فتن بالجنون، من هو المجنون؟ هم يقولون على النبي: أنه مجنون، فستبصر ويبصرون من المجنون من المفتون والفاء في ستبصر للتفريع، يعني الله أبطل بهتانهم وأبطل ما قالوا وفرعوا عليه أنهم إذا نظروا الدلائل وتوسموا فيه علموا أي الفريقين المفتون، علموا من هو المجنون فعلًا هم المفتونون بالانصراف عن الحق والرشد أم هو باختلال العقل كما قالوا والضمير في يبصرون معلوم مقدر عند السامع، فستبصر أنت يا محمد ويبصرون هم المشركون القائلون: إنك مجنون، من الذي من هو المجنون

فهنا السين والتاء في كلا الفعلين للاستقبال: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ السين والتاء للاستقبال كما وضحت أنه يوم القيامة فسيعلم من هو المجنون ومن هو المفتون فعلًا المفتون اسم مفعول للذي أصابته فتنة يعني يجوز أن يراد به الجنون، فإن الجنون يعني في كلام العرب من قبيل الفتنة والعرب يقولون: المجنون فتنته الجن، ويجوز أن يراد به ما يصدق على المضرب في أمره المفتون في عقله، عنده حيرة وقلق.

يعني يثار هذا اللفظ دون لفظ المجنون من الكلام الموجه أو التورية، المفتون يجوز أنه يكون في معنى الجنون يراد به الجنون العرب يقولون: أن المجنون فتنته الجن، ويجوز أن يراد ما يصدق على الاضطراب في العقل مفتون في عقله عنده حيرة وقلق.

بعض المشركين بمنزلة المجانين الذين يندفعون إل مقاومة النبي بدون توصل وبدون عقل، يكون هناك في فتنة واضطراب في أقوالهم وأفعالهم، لأنهم عرفوا الحق ويدعو الناس إلى الباطل، كأبي جهل والوليد بن المغيرة. **والقرطبي قال:** إن معظم سورة القلم ذكرت في الوليد بن المغيرة وأبي جهل.

والباء في قوله: ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ زائدة فائدتها التوكيد، الأصل يعني أيكم المفتون؟ بأييكم هنا الباء أتت للتوكيد ويجوز أنها تكون بأييكم للظرفية في أي الفريقين يكون يوجد هذا المجنون أي من يصدق عليه هذا الوصف فيكون في تعريض بأبي جهل والوليد بن المغيرة، لأنهم مدبرو السوء من دهماء قريش، هم الذين قالوا الأقوال الشبيهة بأقوال المجانين، ووصفوا النبي ﷺ المعروف بالعقل والأمانة، والحكمة بأنه مجنون.

اذن فالباء في بأييكم قد تكون زائدة فائدتها التوكيد أصل الكلام أيكم المفتون وقال بعض أهل العلم أيضا: قد تكون ظرفية، ظرفية وسيكون تقدير الكلام في أي الفريقين يوجد المجنون فريق المشركين أم المؤمنين؟ فستوقن يا محمد ويوقنون من هو المجنون، فستعلم يقينًا وسيعلمون يقينا أيكم المفتون من هو المفتون المجنون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ففي هذا تهديد للضالين ربنا يعلم الضال فهذا تهديد له، ووعد للمهتدين: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فالله يوعدهم بالجنة ويوعدهم بتيسير أمورهم، فهو وعد للمهتدين وبيان لحكمة الله حيث يهدي من يصلح للهداية دون غيره.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيعلم أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ومن هو الضال، ففيه تهديد لهؤلاء الكفار والمشركين، ووعد للنبي ﷺ والمؤمنون الذين صبروا ففي هذا الانتقال في هناك وعد ووعيد، بإضافة السبيل إلى الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فمن اتبع سبيل الله فهو المؤمن مقابل ذلك من ضل عنه من بالمهتدين.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ هذا الانتقال تضمن وعدا ووعيدًا لأن ربنا أضاف السبيل إليه فمن ضل عن سبيله فهو أضل عن سبيل الله وفي مقابل هذا يعني هو أعلم بالمهتدين الذين سلكوا سبيله ومرضاته وعموم من ضل عن سبيله وعموم المهتدين يجعل هذه الجملة مع كونها كالدليل هي أيضًا من التذليل يعني وهو بعد هذا كله يكون تمهيد وتوطئة.

﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الله يعلم من ضل عن سبيله ويعلم بالمهتدين فتعلل هذه الجملة تعليل لجملة ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾. لأن الله يعلم المهتدي ويعلم الضال، ويعلم أن النبي ﷺ ومن معه من المهتدون وغيره من الكفار هم على الضلال، فعموم من ضل عن سبيله وعموم المهتدين يجعل هذه الجملة دليل وتعليل لما قبلها وهي أيضًا من التذليل تذليل لـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

تذليل بأن الله ﷻ سيجعلهم يبصروا جميعًا ويعرفوا من هو الذي على الحق ومن هو على الباطل لأن الله يعلم المؤمن ويعلم المهتدي، فهي تعليل لما قبلها وتذليل وتوطئة وتمهيد: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ هم ضالين والله أعلم بهم، هم ضلوا عن سبيل الله فلا تطعهم يا محمد.

﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ نهى عن ممايعة وممايلة المشركين لأنهم كانوا يدعونه بأن يكف عنهم يكفوا عنه، فبين الله أن ممايلتهم كفر، قال الله: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:74].

فالنبي ﷺ يحتاج إلى ثبات مايلوا وقالوا للنبي ﷺ: كف عنا نكف عنك، وقيل: فلا تطع المكذبين هذا تفسير القرطبي وما نقلته أيضًا من أن الله نهاه عن ممايلة المشركين من تفسير القرطبي أيضًا وقيل: أي لا تطع المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث لا تطعهم نزلت في مشركو قريش، حين دعوه إلى دين آبائهم.

قال ابن عاشور: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الفاء هنا للتفريع، بعد أن أبطل الله مزاعمهم وبين أن النبي ﷺ على هدى وأنهم على ضلال وأن الله يعلم المهتدي ويعلم الضال فرع يعني باعتبار ما تضمنه أنه على هدى. الجانب الآخر على ضلال على ضلال يقتضي هذا المشادة معهم وألا يلين لهم في شيء فإن آذاهم وآل ذلك إلى محاربة الحق والهدى وتصلب فيما هم عليه من الضلال وتصلب فيما هم عليه من ضلال في سبيل الله، فلا يستهلون لينًا ولكن يستهلون إغلاظًا يغلظ عليهم. فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ لا تطعهم دعك منهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ود هؤلاء المشركون لو تدهن لو توافقهم في بعض ما هم فيه إما بالقول أو بالفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه أو توافقهم في القول أو الفعل أو تسكت ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولكن اصدع ودوا أنهم توافقهم في بعض ما تقول من القول أو الفعل فيدهنون هم أيضا ويوافقوك ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام فإن تمام إظهاره بنقد ما يضاده وعيب ما يناقضه فلا تداهن الكفار، لا تداهنهم ولا تميل إلى ما يقولوا، هذا ما يريده أهل الباطل أهل الباطل يعرفون أنهم على باطل، فيودوا أحيانًا من أهل الحق أنهم يميلوا فلما يميلوا يبدأوا هم أيضًا يميعون ما عندهم. رغم أنهم على باطل أصلًا، أصلا حتى كفار قريش كانوا يعلموا أن الدين الحق ويعلموا أن هذا القرآن ما نزل إلا من عند الله.

فأهل الباطل يعرفون أنهم على باطل، ولكن عندما أهل الحق يبدأوا يميلوا ويميعوا الحق هم يستدرجوهم حتى يميعوا ويميعوا ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ ويدهنوا ويدهنوا حتى يجعلوا الإنسان منصرفًا عن الحق تمامًا أو بعضه.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال القرطبي، قال ابن عباس وعطية والضحاك ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم.

قال ابن عباس أيضا: ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك لو تلين فيلينون وكلها معان صحيحة كما ذكر القرطبي، لأن الإدهان معناه الميل والمصانعة، وقيل: مجاملة العدو وممايلته وقيل: المقاربة في الكلام التلين في القول فهم يتمنوا أنه يلن فيميلوا

يصطنع يجاملهم فيميلون ويجاملون يتمنون كل هذا حتى يبعدوا الناس عن الحق، فالله نهى النبي عن إطاعة المكذبين: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

والطاعة قبول هذا نقلًا عن ابن عاشور الطاعة قبول ما يبتغي عمله ووقوع فعل تطع في حيز النهي، يقتضي النهي عن جنس الطاعة، ربنا يؤمر النبي أن لا يطع المكذبين، الطاعة المراد بها المصالحة والملاينة كما قال الله ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الفرقان:52] ربنا أمر النبي بعدم إطاعة الكافرين ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ جاهدهم بالقرآن، فلا تطع الكافرين أي لا تلن لهم لا تلن للكافرين﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ فاختير تعريفهم بوصف المكذبين دون غيره من طرق التعريف لأنه بمنزلة الموصول في الإيماء. فهم مكذبين مهما فعلت فهم يكذبوا لأنه بمنزلة الموصول في الإيماء إلى وجه بناء الحكم، وهو حكم النهي عن طاعتهم هذه الطاعة يعني لا تلين لهم لماذا؟ فالطاعة المنهي عنها أن تلين لهم فلا تلين لهم ولا تداهن ولا تمايلهم فالله نهى النبي عن طاعتهم وهذه الطاعة: فالنبي لم يطع المكذبين، المقصود ألا يلين لهم ولا يمايلهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ لأنه لو داهنت لهم مايلتهم ولنت لهم فسيدهنون ويجتهدوا أن يضيعوا الدين ويضيعوا الإسلام ويجتهدوا أن يجروا العبد إلى الباطل ولكن الله يثبت العبد ويثبت الداعية. ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ فالله ثبت النبي وهو أيضًا يثبت كل داعية على الحق، فلابد أن نعلم شيء أن أهل الحق لو صاحب الحق تزحزح أو مايل سيبدأ غيره يطالبه بالممايلة، لذا تجدي من كان على الحق حينما يبدأ في الركون إلى الباطل أو يبدأ في التميع أو يبدأ في الممايلة، يقدم تنازلًا ثانيًا ثم تنازلًا ثالثًا ثم تنازلًا رابعًا و.

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ كثير الحلف فإنه لا يكون كذلك إلا بنقد ما يضاده، يعني يحلف كثير يحلف وينقض، يحلف وينقض فكثير الحلف فإنه لا يكون إلا كذاب دائما يكذب ولا يكون كذابا إلا وهو مهين أي كذاب مهين خيف النفس، ناقص الهمة هذا نقل عن تفسير الشيخ السعدي. ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ الذي يحلف كثيرا لأنه كذاب والكذاب مهين، لأنه يكذب وهمه حظوظ نفسه وهمه شهواته، الكذاب مهين خسيس النفس ناقص الهمة كل شهواته شهوات خسيسة، ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ وحلاف ومهين أتى بصيغة المبالغة دليل على كثرة حلفة وكثرة كذبه وأنه نفسه مهينة.

قال ابن عاشور أيضًا: هنا إعادة فعل النهي ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ مرة ثانية للاهتمام بهذا الأدب تأكيد يعني إعادة النهي عن الطاعة، إعادة النهي عن طاعة هؤلاء المكذبين فلم يكتف بدخول أصحاب هذه الأوصاف في عموم المكذبين لكن أعاد مرة ثانية للاهتمام بهذا الأدب ولا لتخصيصهم بالذكر بمجرد عطف الخاص على العام. العام فلا تطع المكذبين هذا العام المكذبين يدخل فيه الحلاف ويدخل فيه المهين لكن مرة أخرى للاهتمام بهذا الأدب، بل يقال: ولا كل حلاف بل جيء في جانبهم بصيغة نهى أخرى مناسبة لصيغة نهي أخرى ولا تطع لم يقل الله فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهنوا فيدهنون ولا تطع مرة أخرى إعادة للنهي عن الطاعة مرة أخرى.

ويفيد أيضًا تسليط الوعد الخاص مضمونه لأن الله قال: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ هذه نزلت في الوليد بن المغيرة كما يأخذ ونعرف حين نأتي إلى تفسير هذه الآية ففيها تسليط للوعيد الخاص للوليد بن المغيرة، يعني زيادة على وعيد المكذبين بشكل عام: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ولا تطع كل حلاف مهين فيه زيادة لمن كذب ووعيد خاص له. **وقال جمع من المفسرين:** المقصود أصلًا بالحلاف المهين هو الوليد بن المغيرة أصلًا.

﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ الهماز كثير العيب في الناس، يعني الطعن فيهم بالغيبة يستهزئ بهم، مشاء بنميم يمشي بين الناس بالنميمة، وينقل الكلام بين الناس لقصد الافساد بينهم كي يوقع بينهم العداوة والبغضاء.

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ يعني الذي يلزمه القيام به من النفقات يمنع الخير المفروض هو يقوم بالنفقات والكفارات والزكوات ويقوم بكل خير، هو يمنع هذا الخير.﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ ﴾

معتد على الخلق يظلمهم، يعتدي على دمائهم وأموالهم، ويعتدي على أعراضهم. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم والذنوب، والمتعلقة في حق الله يفعل ذنوب كثيرة.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ غليظ شرس الخلق قاس، لا ينقاد للحق هو إنسان غليظ لا يمكن أن ينقاد للحق غليظ.

﴿زَنِيمٍ﴾ أي دعي ليس له أصل، ولا مادة ينتج منها الخير أخلاقه أقبح الأخلاق ولا يرجى منه فلاح.

كما يقال له علامّة في الشر اي يعرف بهذا هذا كله كلام الشيخ السعدي حاصل هذا أن الله نهى عن طاعة كل حلاف كذاب خسيس النفس سيء الأخلاق خصوصًا الأخلاق المتضمنة أنه معجب بنفسه، تكبر على الخلق وعلى الحق احتقار للناس كالغيبة والنميمة والطعن فيهم وكثرة المعاصي والذنوب وإن كانت نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله تعالى ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾. لأجل كثرة ماله وولده، وهو كان معروف بكثرة المال والولد، كثرة ماله يعني لأجل ماله وولده طغى واستكبر على الحق فدفع الحق حين جاءه وقال: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ جعله من جملة أساطير الأولين التي هي الأساطير التي يصدقها البعض و يكذبها البعض التي يمكن تصديقها أو تكذيبها فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف. طغى واستكبر على الحق بكثرة ماله وولده، وقال عن القرآن: أنه كالأساطير يصدقه من يصدقه ويكذبه من يكذبه.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ توعد الله من جرى منه ما وصف الله بأن الله سيسمه على خرطومه في العذاب فيعذبه عذابًا ظاهرًا يكون له سمة وعلامة على خرطومه الناس كلها تعرفه، فسيسمه على خرطومه في العذاب، يكون له سمة وعلامة ويعذب ويكون معروف بها.

ويعذبه عذابًا ظاهراً يكون عليه سمة وعلامة في أشق الأشياء عليه وهي وجهه ربنا يسمه على خرطمه، يسمه على منخاره وخرطومه الله يجعل عليه علامة يسمه عليه وبهذه

العلامة يعرف الجميع أنه يعذب ويكون عذابه عذابًا ظاهرا للجميع في أشق الأشياء عليه على وجهه.

قال ابن عباس في معنى سنسمه: أي سنخطه بالسيف، وقد خط الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف، يعني لم يزل مختومًا إلى أن مات يعني نختمه بالسيف يعني سنسمه يعني نختمه بالسيف يقول: ظل مختومًا إلى أن مات.

وقال قتادة: سنسمه يوم القيامة على أنفه كما وضحت في تفسير الشيخ السعدي سنسمه، يوم القيامة على أنفه يعني سمة علامة يعرف بها، يبقى في سمة وعلامة على منخاره يعرف بها على أنفه يعرف بها، فيعذب ويكون عذابه ظاهرًا ومعروف أن هذه سمه لعذاب أو سمة العذاب يعرف.

و (الهماز والمشاء) وكل هذه تدل على قوة الصفة تدل على أن تمكن هذه الصفة منه فهو كثير الهمز وكثير اللمز، وكثير المشي بالنميمة، فلما تأتي الصفة صيغة مبالغة تدل على تمكن الصفة في الإنسان، فمثلاً نقول هو عالم غير عليم العالم تدل على أنه عنده علم تدل على تمكن العلم، فصيغة المبالغة تدل دومًا على الكثرة كما نعلم.

معتد يعني كما وضحت الاعتداء مبالغة في العدوان فافتعال فيه دليل على الشدة يعني والأثيم كثير الإثم: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ [الدخان43 :44] فالمراد بالإثم ما يعد خطيئة وفساد، عند أهل العقول والمروءة.

الله نهى عن طاعتهم، فإن النهي عن طاعتهم لماذا؟ ربما نهى النبي عن طاعتهم لأنهم كذبوا برسالته.

ومن هنا يتضح شيء مهم جدًا أن جملة: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ بيان لمتعلق الطاعة المنهي عنها، لهذا فصلت ولم تعطف. لم يعطفها، الله لم يقل: فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون لا ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ فهي لم تعطف فصلت: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

قال ابن عاشور في قوله بعد ذلك: في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ بعد ذلك قال ابن عاشور: علاوة على ما عدد من الأوصاف السيئة وهو سيئ الخلق، سيئ المعاملة والبعدية في الارتقاء في درجات التوصيف المذكور يعني هو سيء الخلق، وسيء المعاملة إضافة على هذا أنه ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ فهو بالإضافة لاتصافه بكل هذه الصفات السيئة، وغليظ شرس الخلق، قاس غير منقاد للحق.

موقع بعد ذلك موقع الجملة الاعتراضية: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ كما نقول: أبي وفقه الله يتعب من أجلنا فجملة وفقه الله جملة اعتراضية في الكلام فعتل هو عتل زنيم فموقع بعد ذلك موقع الجملة الاعتراضية أفادت الارتقاء كما وضحت في درجات التوصيف، أنه علاوة على كل هذا وهو غليظ شرس.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ كما وضحت أن الوليد بن المغيرة كان له مال وبنين، كما قال الله ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر11 :13].

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ هنا ختمت الاوصاف المحذر من إطاعة أصحابها، ربنا حذرنا ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾. ختمت بالتكذيب لأنه كذب وقال: إن هذا أساطير الأولين ليرجع إلى صفة التكذيب التي انتقل الأسلوب منها: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وآخر ما وصف به هؤلاء المكذبين هو التكذيب، لأنه: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كذب بها.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِين وَلاَ يَسْتَثْنُون﴾

يعني بلونا هؤلاء المكذبين، الحديث مازال عن فلا تطع المكذبين، ما زال الحديث عن المكذبين وصفاتهم فبلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم وأعطيناهم من المال ومن الولد ومن الخيرات وطول العمر مما يوافق أهوائهم هذا طبعًا ليس كرامة لهم ولكن استدراج الله يستدرجهم لأن الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة وأن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب. ولكن لا يعطي الدين إلا لمن يحب، فالدنيا كلها لا تساوي عند الله شيء، فسبحان الله الله يستدرج الكافر، يستدرجه ويعطيه من النعم، فيظن

هذا الكافر أنه قد رضي الله عنه، بسبب أنه معه الأولاد والصحة والعافية والعمر، هو استدراج لأن الدنيا كلها لا تساوي عند الله شيء، إذا أتى لله ﷻ يوم القيامة يوفيه عقابه وحسابه سبحان الله، فالله هذا استدراج لهم من حيث لا يشعرون، يعني اغتار لهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة الذين هم فيها شركاء: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾

يعني الله ابتلاهم، وبلوناهم يعني اختبرناهم هل سيشكروا أم لا؟ سبحان الله إنا بلوناهم الله ابتلى هؤلاء المكذبين، الذين أعرضوا والذين لم يؤمنوا كما ابتلى أصحاب الجنة هنا يعني البستان، لأن الجنة تطلق على عدة معان ويراد بها البستان المشتمل على أنواع الثمار، طيب والفواكه: ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾. هم كانوا يعرفون أصحاب الجنة، هؤلاء كانوا يعرفون وهم في بلدة قريبة من اليمن.

الكل في ابتلاء واختبار، الله اختبرهم وابتلاهم كما ابتلى أصحاب الجنة. فالإنسان حياته اختبار ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ والانسان خلق مبتلى خلق ليختبر خلق. اتفق أصحاب الجنة على ان لا يعطوا الفقير ولا المسكين وأنهم سيجزون الشجر ويحرموا الفقير والمسكين وصاحب الحاجة ولا يستثنون. وهذا دليل على أن على الإنسان ان يستثني فلا بد ان يقول في كل امر ان شاء الله، لان الانسان لا يعلم هل سيبلغ الامر أم لا.

الله عاجلهم بالعقوبة يقول القرطبي في هذه الآية دليل ان العزم مما يؤاخذ به الانسان وان لم يفعل. فهم عزموا على ان يفعلوا (سيجزونها ويقطعونها حتى لا يُعطوا السائل شيء) فعاجلهم الله بالعقوبة فالعزم يؤاخذ به الانسان وان لم يفعل لأنهم عزموا على ان يفعلوا فعاجلهم الله بالعقوبة قبل فعلهم ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو أراد الالحاد وأراد أن يظلم فأذاقه العذاب الأليم. قال النبيﷺ إذا التقي مسلمين بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول

قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه فالعزم يؤاخذ به الانسان في العقوبة. أما عند التعامل مع البشر مثل ان يعدنا أحد بشيء ولكن لم يفعله لاي سبب لان هناك ما عاقه

عن فعله (مرض. حادثة) فلا يؤاخذ. ويؤاخذ بالعزم بالعقوبة عند التعامل مع الله ولا يؤاخذ حين تعامل البشر بعضهم بعضاً لان هنا العزم على الشيء ليس بمنزلة فعله. مثل الفائدة التي استخرجها الشيخ السعدي في قصة موسى ﵇ مع الخضر في سورة الكهف حينما لم يستطع الصبر. فالله يؤاخذ الانسان بالعزم لإنه عزم ونوى.
الجنة هنا يعني البستان، لأن الجنة تطلق على عدة معان ويراد بها البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه.
﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ لم يستثنوا لم يقولون: إن شاء الله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ طاف عليها طائف يعني أصابتها آفة سماوية وهم نائمون، هم قالوا: سنقطع هذا الشجر ونجزه حتى لا يعلم به فقير ولا مسكين وسنقطع الثمر بالليل ونستمتع به نحن ولا نعطي سائل ولا فقير ولا يتصدقوا.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ هم لم يقولوا: إن شاء الله، قالوا: في الليل سنقطع الثمر حتى لا يسألنا سائل ولا فقير، ولم يقولوا: إن شاء الله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أصابتها يعني آفة سماوية ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال ابن عباس أي اصبحت كالليل الأسود وهناك من قال: مثل الزرع إذا حصد يعني يكون هشيمًا يبسًا.

فابن عباس قال: كالصريم يعني كالليل الأسود. **والثوري السدي قال:** مثل الزرع إذا حصد يعني هم هشيم أو يابس.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل المظلم كما وضحت على رأي ابن عباس، وعلى رأي غيره كالثوري والسدي، يعني مثل الزرع إذا حصد يعني أنها اصبحت غير نافعة هشيماً يبسًا

والمقصود أنهم أقسموا وحلفوا نحن سنقطع الثمر كله، ونجزه حتى لا يأتي لا سائل ولا فقير، وهم لا يدرون أن الله لهم بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم ويبادر إليهم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ عذاب نزل عليها ليلًا وهم نائمون أبادها وأتلفها.

قال الله ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ لم يعين الله جنس الطائف لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك، يعني المقصود أن هذه الجنة لحق بها الهلاك وأن الزرع الذي بها قد فسد، وليس هناك بتعيين نوعه، وهذا كلام ابن عاشور لأن العبرة في الحاصل به، العبرة أنه حصل فساد في الزرع وحصل هلاك بأي طائف، يعني تعيين الطائف لا يتعلق بغرض معين.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ هنا أسند الفعل طاف إلى طائف نعم فهنا كأنه بمنزلة الفعل كأنه في منزلة إسناد الفعل المبني للمجهول، كأنه قال: فطيف عليها وهم نائمون يعني الله ﷻ لم يعين الطائف، لأنه لم يتعلق غرض معين بتعيين الطائف، المقصود أنه حصل هلاك في الثمر، وأنه أصابتها جائحة، وأنه حصل فساد في الزرع، وتنوين طائف للتعظيم يعني أمر جعلها كالصريم فسبحان الله جعلها تحترق كالليل المظلم كما وضحت.

قال ابن عاشور أيضًا: وعجل العقاب لهم قبل التلبس بمنع الصدقة، لأنهم عزموا كما وضحت الفائدة التي ذكرها القرطبي لأن عزمهم على المنع وتقاسمهم عليه، حقق أنه مانعون صدقاتهم هم خلاص عزموا تمامًا أنهم لم يعطوا الصدقة، فكانوا مانعين يعني هم عزم أن لم يعط الصدقة، كانوا مانعين ولهذا عاجلهم الله بالعقوبة. وهذه الآية يُؤخذ منها موعظة للذين لا يواسون الناس بأموالهم ولا يعطون الفقير والمسكين.

﴿فَتَنَادَوا مُصْبِحِين﴾

لما كان وقت الصبح أصبح ينادي بعضهم بعضًا ليذهبوا إلى هذا الجزاز. والتنادي دليل على أن الانسان قد يعزم على فعل شيء سيئ وتدعوه نفسه لعدم فعله ولكن بسبب صحبة السوء يقدم الإنسان على فعله.

والفاء هنا للتعريف. يعني لما أصبحوا تنادوا، هم عزموا أنهم سيجزون الزرع وسيقطعونه، فلما كان الصباح تنادوا وتنادوا يعني نادى بعضهم بعضًا، حتى ينجزوا ما بيتوا عليه ويقطعوا الثمر، ويجزوه. والتنادي عضا يشعر أنهم يحرضوا بعضهم على الغدو إلى جنتهم مبكرين، حتى لا يراهم الفقير والمسكين كما عزموا.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ اذهبوا إليه إن كنتم تريدوا أن تجزوه وتقطعوه. عازمين على جزازه وقطعه حتى لا يراه الفقير ولا المسكين. ﴿أَنِ اغْدُوا﴾ الغدوا كما وضحت الخروج ومغادرة المكان في غدوة النهار، يعني أوله فيروحوا لزرعهم ويروحوا لحرثهم يقطعوه ويجزوه كما اتفقوا.

﴿إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ هنا يا أخواتي في شرط للتعليق، وليس قولهم: إن كنتم صارمين بشرط هذا كلام ابن عاشور، وليس قولهم: ﴿إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ بشرط تعليق ولكنه مستعمل في الاستبطاء، يعني ممكن يكون واحد فيهم مبطئين، هم في الصباح بعضهم قام وبعضهم لم يقم، فبعضهم يعني عازم يعني: ﴿إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ أنتم جادين أنكم تقطعوه تجزوه أم لا؟ فإن كنتم صارمين وجازمين وعازمين أن تقطعوا الثمر، وتقطعوه وتأتوا به حتى لا تعطوا الفقير والمسكين، فقوموا واذهبوا إلى حرثكم واذهبوا إلى هذا الزرع حتى تقطعوه، إن كنتم صارمين أنتم لو كنتوا جادين هذه الجملة تقال في الاستبطاء يعني كأنهم إبطاء بعضهم في الغدو يعني وعدل عن الجزاز في ذلك اليوم، يعني لا يريد أن يذهب في هذا اليوم، فالثاني يشجعه يقول له: لو أنت صادق وعازم وعاوز تجزه وعاوز تقطعه يله نذهب

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ يعني يتناجون فيما بينهم، بحيث لا يسمع أحد كلامهم يعني تخافت، يعني في يتحدثوا فيما بينهم بصوت خافت حتى لا يسمعهم أحد.

نادى بعضهم بعضاً لأنهم لم يكونوا كلهم مستعدون لنفعل ما اتفقنا عليه إن كنتم عازمين على هذا. عزموا ان لا يدخلنها اليوم مسكين ونسوا الله عز وجل والمال مال الله. ماذا كانوا يقولون لبعضهم بصوت خافت، بصوت لا يسمعه أحد، بصوت لا يمكن لفقير يسمعه ولا المسكين أن يسمعه ﴿أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ أي يقول لبعضهم البعض: لا تمكنوا اليوم فقيرًا ولا مسكينًا من الدخول عليكم.

﴿أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ أي هيا بنا نحرص ونجز ونقطع الحرث ونقطع الزرع حتى لا يدخل علينا مسكين ولا فقير. ﴿لا يَدْخُلَنَّهَا﴾ النون توكيد لم يقولوا: لا يدخلها عليكم مسكين ﴿لا يَدْخُلَنَّهَا﴾ النون هنا للتوكيد دليل على أنهم لا يريدوا إدخال المسكين تمامًا، فتأكيد فعل النهي بنون التوكيد يدخلنها لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه.

همم تقاسموا وحلفوا أنهم لا يريدوا الفقير ولا المسكين ولا يريدوا أن يعطوا الفقير ولا المسكين، فهنا نون التوكيد أفادت أنهم شدة حرصهم على عدم إطعام الفقير ولا المسكين.

قال الله: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أي بقوة وبشدة فهم في هذه الحالة الشنيعة من القسوة وعدم الرحمة لا يريدوا أن يعطوا الفقير ويتخافتوا ويقولوا بصوت خافت فيما بينهم حتى يمنعوا الفقير والمسكين ويتحدثوا بصوت خافت حتى لا يسمعهم أحد، فيبلغ الفقير والمسكين لا يريدوا أن يعطوهم فهم في حالة وغدوا في هذه الحالة الشنيعة من القسوة وعدم الرحمة على حرد قادرين على إمساك ومنع لحق الله جازمين بقدرتهم عليها.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ قال: على هنا مستعملة في تمكن الوصول إليه كأنهم يعني كأنه قيل: اغدوا تكونوا على حرثكم مستقرين عليه، يعني متمكنين منه حرثكم طبعًا الحرث والثمر والزرع، فهذا دليل على تمكنهم من حرثهم من زرعهم من ثمرهم. فالحرث

يطلق على الجنة فعلى حرثكم يعني هذه الجنة وهذا الثمر، الذي تتوعدونه بالحرث والإصلاح يعني وقيل: أيضًا أن معنى الحرث هو شق الأرض بحديدة، ليوضع عليها يعني يوضع فيها الزريعة اللي يزرعها أو الشجر، ليزول منها العشب، فقيل: أنه شق الأرض بحديدة، حتى يوضع فيها الشجر أو الزريعة التي يزرعها، أو قيل: إن الحرث هي الجنة أو الثمر وهم يوالوه ويزرعوه ويتعهدوه.

قال الله: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ لم يقل: وغدوا قادرين على حرد، ﴿عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ يعني أفادت التخصيص، يعني هم قادرين على المنع، وقادرين على أنهم لا يريدوا إعطاء الفقير والمسكين فهذا دليل على تمكن هذا الأمر من قلوبهم، وأنهم قادرين لا يريدوا أن يعطوا الفقير والمسكين تمامًا، والتعبير هذا كله كلام ابن عاشور.

التعبير بقادرين على حرد، دون أن يقول: وغدوا حاضرين هنا تهكم، لأن فعل القدرة يعني أن يذكر معه لا يقدرون الله يقول: ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة:264] ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:4]

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ يعني هذا هو ما يقدرون عليه أنهم يمنعوا الصدقة عن الفقير والمسكين. هم لا يريدوا أن يعطوا الفقير والمسكين كانوا يريدوا أن يقطعوا الثمر من الليل ويجزوه حتى لا يعطوا الفقير والمسكين، فأتت الجائحة واجتاحت ثمرهم بالليل فلما أصبحوا وجدوا الثمر في هذا الحالة صريماً غير نافع. فلما رأوها على الوصف الذي ذكره الله كالصريم، قالوا: من الحيرة والانزعاج كالليل المظلم، على قول ابن عباس كالصريم أي كالليل المظلم، احترقت فصارت كالليل الأسود. **وقال ابن عباس أيضا:** كالرماد الأسود. بمعنى أن الثمر فسد ولم يعد صالحًا، وعلى قول الثوري وغيره: كالزرع المحصود يعني يابسًا هشيمًا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون﴾

﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ احنا تائهون عنها، لعلها غيرها فلما تحققوا ورجعت إليهم عقولهم.
قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ عرفوا حينئذ أنها عقوبة من الله.

لما رأوا الجنة قد أصبح بها هذا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون هنا اعترفوا بضلالهم واعترفوا بأنهم أذنبوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون﴾ فسبحان الله العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا أنقل لك كلام القرطبي تمامًا لأنهم عزموا على أن يغلوا، فعوقبوا قبل فعلهم، يعني الله عاقبهم وهم لم يفعلوا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25].

هو أراد ولكنه لم يفعل، وأيضًا حديث النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟» المقتول في النار ليه؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه» كان حريصًا أنه يقتل صاحبه فالمقتول لم يقتل ولكنه كان حريص على قتل صاحبه. فالقرطبي يعطي لنا فائدة طيبة جدا من الآية أن العزم الإنسان لما يعزم على شيء يؤاخذ عليه حتى وإن لم يفعله، فهم عزموا أنهم ليلًا يقطعوا الثمر ويجزوه حتى لا يعطوا الفقير ولا المسكين. فالله عاجلهم بالعقوبة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

قال الله ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ لم يعين الله جنس الطائف لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك، يعني المقصود أن هذه الجنة لحق بها الهلاك وأن الزرع الذي بها قد فسد، وليس هناك بتعيين نوعه، وهذا كلام ابن عاشور لأن العبرة في الحاصل به، العبرة أنه حصل فساد في الزرع وحصل هلاك بأي طائف، يعني تعيين الطائف لا يتعلق بغرض معين. فإسناد فعل طاف إلى طائف من منزلة إسناد الفعل المبني للمجهول، كأنه قيل: فطيف عليها وهم نائمون.

الشيخ السعدي أيضًا قال في تفسيره وفي الفوائد التي استخرجها من سورة الكهف من قصة موسى مع الخضر، الشيخ السعدي استخرج فوائد كثيرة جدًا وطيبة جدًا ليتك تقرئيها.

فقال: إن موسى وعد الخضر، وموسى كان عازما يعني: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:102] ولكنه لم يفعل. فالعزم على فعل الشيء ليس بمنزلة فعله، فالعزم أن الإنسان يعزم على فعل الشيء ليس بمنزلة أنه فعل فعلا، لأن موسى وعد الخضر ولم يفي ولم يقصد طبعًا عدم الوفاء ولكنه رأى أمامه بعض الأشياء، فأراد أن ينكر المنكر كما نعلم جميعًا لذا قال له الخضر من الأول: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:67] المقصد أنا اجمع لك بين الفائدة التي استخرجا القرطبي والفائدة التي استخرجها الشيخ السعدي.

لأن القرطبي استخرج من الفائدة أن العزم مما يُؤاخذ به الإنسان لذا ربنا عاجلهم بالعقوبة قبل أن يفعلوا: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ من يرد فقط بإلحاد بظلم الله يذيقه العذاب الأليم، وهو قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ مجد الإرادة، «إذا التقى المسلمين بسيفيهما» هذا المقتول قتل المقتول في النار لأنه كان حريصًا على القتل، عزم كان عنده عزم أن يقتل صاحبه، وإن لم يفعل، فالعزم يؤاخذ به الانسان في العقوبة، أما في التعامل مع فلا يؤاخذ البشر أخت لك في الله عزمت أن تفعل لك شيء لم تفعله فالمقصد أنك إذا وعدتك أخت في الله بشيء ولكنها لم تفعل لا تحسبي عليها هذا الأمر إلا إذا فعلته يعني موسى وعد الخضر على أنه سيصبر، ولكنه لم يفعل.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُون﴾

أَوْسَطُهُمْ يعني أعدلهم وأحسنهم طريقة ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ يعني تنزهون الله عما لا يليق به، فالتسبيح تنزله لله عما لا يليق به، حين أقول: سبحان الله يعني يا رب أنا أقدسك أنا أنزهك عن كل ما لا يلي بك يا رب. ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إن شاء الله فهذا أكثرهم عقلًا.

هنا فائدة التسبيح الانسان يلجأ إلى ويسبح ويذكر الله عز وجل ويعترف بظلمه لنفسه، فالله حينها يسامحه ولا يعاقبه.

فهنا ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يعني استدركوا بعد ذلك ولما وقع عليهم العذاب عرفوا أنهم أخطأوا، فسبحوا وقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فهم أقروا على أنفسهم بالإثم، وسبحوا الله وقدسوه ونزهوه، وندموا ندامة شديدة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾ فيما فعلوه أصبح كل واحد فيهم يلقي باللوم على الثاني.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ لقد كنا متجاوزين للحد في حق الله هذا الرزق هو رزق الله، لما لا نعطي الفقير والمسكين، الله هو الذي أعطانا هو الذي تفضل علينا فلماذا نبخل على الفقير والمسكين، فطاغين متجاوزين للحد يعني في حق الله وفي حق عباده، ولم نعط الله حقه، ولم نعط العباد حقهم.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ يعني فهم رجوا لله أن يبدلهم خيرا منها وسبحان الله ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، ويلحوا عليه في الدعاء، ويسألوا الله وبلا شك أن العبد عندما يلح على الله في الدعاء، ويكون صادقًا الله يعطيه سؤله.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ يعني الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب، الله ربنا سلب منهم النعمة لأنهم طغوا وبغوا، فهم قالوا: بالليل نقطع ونجز حتى لا نعطي الفقير والسائل، فسبحان الله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ قبل ما أصبحوا وقبل ما يعملوا أي شيء،

أصابتهم هذه العقوبة. ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ هذا العذاب الدنيوي لمن طغى وبغى سبحان الله، وآثار الحياة الدنيا.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون﴾ انتقلت الآيات للحديث عن اليوم الاخر. فالإنسان عليه أن يعلم ان عذاب الآخرة شديد والدنيا لا تساوي عند الله شيء وان الانسان مهما مر به من عذاب في الدنيا لا يساوي عند الله شيء. يُؤتى بأبئس اهل الدنيا يغمس غمسه واحده في الجنة ثم يستخرجه الله عز وجل فيقول له عبدي هل مر بك شقاء قط هل مر بك بؤس قط فيقول لا ينسى كل الشقاء، فكيف إذا دخل الجنة وتنعم بنعيمها. وغمسه واحده في النار تنسي كل النعيم الذي رأه في الدنيا. ويُؤتى بأنعم اهل الدنيا وهومن أهل النار فيغمس غمسه واحده في النار فتنسيه كل النعيم الذي عرفه. فالدنيا لا تساوي شيء. وهنا العلم لا بد ان يكون فيه يقين. فبعضهم يدعي العلم وهو لا يعلم. ولكن ان لامس العلم اليقين فسيؤدي بالإنسان للعمل الصالح فلا يكون الا تفكيره في الآخرة والاجتهاد في الطاعة. ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ عذاب الآخرة طبعًا أكبر من عذاب الدنيا. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإن من علم ذلك من يعلم أن عذاب الآخرة أكبر سينزجر، ويفعل كل الأسباب التي تؤدي إلى رضا الله عنه ويبحث عن مرضاة الله لكن من لم تكن الآخرة على باله لن ينزجر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس:7] لا يرجون لقاء الله وخلاص رضوا بالحياة الدنيا، وقمة رضاهم عن الدنيا أنهم اطمئنوا بها وكأنه ليس هناك آخرة. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ غافلون تماما، كلما أتتهم آية هم غافلون عنها تمامًا. ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:8]

﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُون﴾ على الإنسان ان لا يقنط من رحمة الله مهما أذنب. فهم اعترفوا بذنبهم ورجوا ما عند الله عز وجل والانسان عليه ان يكون راغب بما عند الله عز وجل.

قال ابن مسعود: إن القوم أخلصوا وعرف الله ﷻ منهم صدقهم فأبدلهم جنة. أما الحسن فقال الحسن قول أهل الجنة: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ لا أدري إيمانًا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة يعني بعض المشركين لما تصيبهم الشدة، يقولون: إنا إلى الله راغبون يعني قد لا يكون الإيمان في قلوبهم، فيوقف في كونهم مؤمنون، هل هم مؤمنون أم لا؟ يوقف في ذلك يعني أنهم ممكن يقولوا: إنا إلى ربنا راغبون يعني في وقت الشدة فقط، هو يقصد هذا.

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ يعني أصحاب الجنة هؤلاء من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتني تعبا. **والمعظم يقولون:** أنهم تابوا وأخلصوا.

قال ابن عاشور: وجه المشابهة بين المكذبين والمعرضين، وحال أهل الجنة المذكور هو الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر النعمة، يعني أنتم أيها المكذبون بلوناكم فلم تشكروا؛ وأيضًا أصحاب الجنة هؤلاء أعطاهم الله ﷻ فلم يشكروا وأرادوا أن يجوزا ويقطعوا الثمر، حتى لا يعطوا الفقير والمسكين كما وضحت. وفي هذا التمثيل كما قال ابن عاشور تعريض بالتهديد يعني هؤلاء أصحاب الجنة أنعم الله عليهم فلم تشكروا ولم يريدوا أن يعطوا الفقير والمسكين فأنتم أيضا أيها المكذبون المعرضون هذا تهديد لكم إن لم تشكروا. ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا ..﴾ نحن نختبركم، فأنتم لم تشكروا مثل أصحاب الجنة فيصيبكم ما أصابهم من البؤس بعد النعيم، ويصيبكم القحط لأنكم لم تشكروه، وإن اختلف السبب في نوعه اتحد جنسه، هم لم يشكروا وأنتم أيضًا لم تشكروا. وجه الشبه بينهم بين أصحاب الجنة وبين المشركين، بطر النعمة والاغترار بالقوة وعدم شكر الله.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

ذكر الله المتقين وما أعده لهم من النعيم فالله لا يجعل المسلمين كالمجرمين ثم أبطل الله حجج المكذبين المشركين لماذا لا تؤمنون بالنبي مالكم كيف تحكمون ...... فالله أبطل جميع حججهم المشاهدة والغيبية. فالنبي لا يريد مالاً ليس عندكم كتب أبطل الله حججهم المشاهدة وأبطل انهم يعلمون الغيب فهم ليس عندهم حتى الغيب ولا عندهم شيء فلماذا لا يؤمنون بك يا نبي الله. إذن أبطل الله حجج هؤلاء الكفرة.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ هم لم يسجدوا لله في الدنيا من لم يسجد وينكسر لله في الدنيا لا يستطع في الآخرة. فمن أعظم النعم لله ان ينكسر ويذل ويسجد ويخضع لله عز وجل.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ هكذا حال المشركين المعرضين يكونوا في حاله من الذل والمهانة فهم كانوا يدعون للسجود في الدنيا وهم سالمون ولم يكونوا يسجدوا.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

دعني والمكذبين بالقرآن العظيم فاني فعلي جزءاهم (سَنَسْتَدْرِجُهُم) ولا تستعجل لهم فسنمد لهم من الأموال والأولاد ونعطيهم النعم ونمد لهم في الارزاق والاعمال فيغتروا ويستمروا على ما هم فيه، فالعبد يغتر ويعتقد أن الله راضي عنه فيضره أكثر وأكثر. فالله حينما يعطي الكافر الدنيا فهي لا تساوي عنده شيء ثم يوفيه عقابه في الآخرة فالاستدراج أن يستدرج الله عز وجل العبد فيعطيه من الدنيا ويبْسُط له فالعبد يعتقد أن الله يمن عليه فيغتروا ويستمروا فيستدرجهم الله فيوفيهم حسابهم.

<u>قال القرطبي</u>

والاستدراج ترك المعاجلة، وأصله نقله من حال إلى حال كالتدرج. وقيل منه دَرَجَ وهي منزلة بعد منزله وأدرج فلان فلاناً أي أستخرج ما عنده قليلاً ويُقال درجه الى كذا واستدرجه أي أدناه منه على التدريج. فالشاهد أن الله يترك معاجلة الكافر بالعقوبة يتركه ويمتعه بالمال والأولاد فالدنيا لا تساوي عند الله شيء فيستدرجه بالنعم ويوم القيامة يوفيه حسابه.

قال ابن كثير

سنستدرجهم وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة. كما تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ وقال ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾

قال ابن عاشور في قوله تعالى فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ. الحديث المراد به القرآن فيجوز تسميته حديث لان فيه إخبار عن الله وما فيه من أخبار الأمم. وسمي بحديث في القرآن في قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فهنا سمي القرآن حديث وقوله تعالى ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ وقوله ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ ولوقلنا أن المراد بالحديث هنا القرآن فان اسم الإشارة في هذا مقدر في الذهن مما سبق نزوله في القرآن ويجوز المراد بالحديث الاخبار عن البعث فيعني ذرني ومن يكذب بالبعث ومن لم يؤمن بيوم القيامة ففيه اخبار عن البعث وما يحدث فيه يوم القيامة واسم الإشارة يكون الإشارة الى ذلك الكلام والمعنى حسبك إيقاعاً بهم ان تكل أمرهم إليّ فأنا اعلم كيف انتصف منهم فلا تشغل نفسك بهم وتوكل علي فانا اعرف كيف ارغم هؤلاء المكذبين وكيف انتصر عليهم، وهذا فيه تعريض بالتهديد للمكذبين لانهم يسمعون هذا الكلام ووعد للنبي ﷺ بالنصر عليهم والانتقام منهم في الدنيا. وفيه تعجيل لتسلية قلب النبي ﷺ وفيه وعيد بالانتقام منهم في الدنيا

وجملة سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُون بيان لمضمون قوله عز وجل فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ بيانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون لان الاستدراج والإملاء يعقبه الانتقام فالله يستدرجهم ثم ينتقم منهم فكأن الله يقول سنأخذهم بأعمالهم فلا تستبطئ الانتقام لأنه محقق وقوعه ولكن يؤخر لحكمة تقتضي تأخيره.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين﴾ كيد الله عز وجل لأعدائه قوي متين يبلغ من ضررهم وعذابهم كل مبلغ فالله كيده من اعداءه قوي.

قال ابن كثير: واخرهم وانذرهم وامدهم وذلك من كيدي ومكري بهم، فالله عز وجل يؤخرهم. كيدي متين عظيم لمن خالف امري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي

قال القرطبي: أملي لهم يعني امهلهم وأُطيل لهم مده.

ملاحظة

جاءت سنستدرجهم بنون المتكلم وأملي بصيغة بالإفراد.

قال ابن عاشور ونون نستدرجهم نون المتكلم المشارك والمراد الله وملائكته الموكلون بتسخير الموجودات وربط الاحوال بعضها ببعض على وجه يتم به مراد الله. فلذلك جيء بنون المتكلم المشارك، فالاستدراج تعلق تنجيزي لقدرة الله عز وجل فيحدث بواسطة الملائكة الموكلون. كما قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فالله ثبت الذين امنوا بالملائكة.

فالاستدراج عَبَرَ الله عنه نستدرجهم بنون المتكلم المشارك والمراد الله وملائكته الموكلون بهذا. أما الإملاء فهو علم الله بتأجيل أخذهم وأملي لهم يعني أُطيل لهم المدة فالله هو الذي يعلم هذا وحده (علم الله بتأجيل أخذهم) وتعلق العلم ينفرد به الله عز وجل فلذلك جيء معه بضمير المفرد. ونظير ذلك في سورة الأعراف ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ . باعتبار وعده للرسول ﷺ وتثبيت له ووعد له وأن استمرار الكافرين في النعمة إنما استدراج لهم وضرب يشبه الكيد وان الله بالغ امره فيهم. وهذا كقوله تعالى ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ وهنا إطلاق الكيد على احسان الله لقوم مع اراد الحق السوء بهم إطلاق على وجه الاستعارة. فالكائد حين يُكيد يعجل الاحسان ويعقبه بالإساءة فنقول هذا يكيد بهم، فالله يكيد بهم وكيده متين بهؤلاء المكذبين والله يحسن إليهم (يستدرجهم) ثم يعقب ذلك بالإساءة والعقاب والحساب يوم القيامة فهذا على وجه المشابهة فعل الكائد وان الكائد يعجل بالإحسان ويعقب ذلك الإساءة.

ينبغي على الانسان العاصي ان يقول الله اعطاني مالا واعطاني الصحة واعطاني اولادا قد يكون استدراج فنعم الله على عبده مع معصيته ليست دليل على رضى الله بل هي استدراج وذلك يعني ان الله يعطيه الدنيا ولا يعاجله بالعقوبة في الدنيا ويؤخرها عنه في الدنيا ويعاجله بها في الاخرة. فالعبد عليه ان لا يغتر بالدنيا. فالله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولكن لا يعطي الدين إلا لمن يحب. فحين نرى الكفار موسع عليهم في الدنيا بيوتهم وعمارتهم ... وفتح الله عليهم في الدنيا فالدنيا لا تساوي عند الله شيئا فغمسه واحده تنسي الانسان كل شيء. فدليل الرضى ان يكون في طاعة الله وان يكون يحب الدنيا. فالعبد قد يُستدرج فيرى الأولاد والأموال فيغتر ويقول ان الله راضي عني. فبسط الدنيا ليست علامة رضى وليست علامة سخط فقد يكون عبد شاكر فتح الله عليه في الدنيا واعطاه فالله يعلم انه سيستخدم ماله هذا في خدمة الإسلام والمسلمين. فالشاهد ان الدنيا ليست دليل على الرضى ولا دليل على السخط. فالله اعطى الدنيا للكافر ولكن الدين لا يعطيه الا لمن يحب. فالله يكيد بالكافر وعلى الانسان ان يصبر فالله أمر نبيه بالصبر وأن يقابل كل الابتلاءات التي تواجهه في حياته بالصبر.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾

لم يطلب النبي منهم أموال فيثقل ان يدفعوا هذا المغرم (الأموال) فليس لنفورهم عنك وعدم تصديقهم لك سبب فلماذا لا يؤمنوا ويصدون عنك وينفرون عنك فإنك تعلمهم

وتدعوهم الى الله لمحض مصلحتهم ولم تطلب مالاً. والمغرم ما يفرض أدائه من مال على الشخص بغير عوض أو جناية. يُقال غِرم أي فُرض عليه مالا.

مثقل أي حُمل عليه شيء ثقيل وهنا مجاز في إشفاق هل انت طلبت منه مالاً فيه مغرم فثقلت عليهم بهذا المال وبهذا الغرم فانت لم تطلب منهم هذا يا محمد.

قال ابن عاشور: هنا إضراب الانتقال الى ابطال اخر. الله يُبطل معاذيرهم في عدم الايمان بالنبي ﷺ . لماذا أنتم معرضون عن محمد لماذا لم تستجيبوا للنبي ﷺ مالكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ام لكم ايمان ام لكم شركاء ام تسألهم اجراً فالله عز وجل ينتقل لإبطال معاذيرهم هنا انتقال الى ابطال اخر يبطل حجج ومعاذير المشركين. أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا والاستفهام هنا انكاري فالنبي ﷺ لم يسألهم اجر ولم يطلب منهم مالاً فيثقل عليهم ورغم ذلك لم يؤمنوا.

قال ابن عاشور في أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُون هذا اضراب اخر يعني انتقل بهم فالله يبطل مزاعم المشركين في عدم ايمانهم بالرسول فهو اضراب اخر ينتقل لإبطال مزاعم هؤلاء المشركين ومعاذيرهم في عدم الايمان. جاءت الابطالات السابقة متعلقة بما يفرد له من المعاذير التي هي من قبيل مستندات من المشاهدات لكن أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُون ابطال اخر، ابطال حجة مفروضة يستندون فيها إلى علم شيء عن الأمور الغيبية من الناس والغيبيات مما استأثر الله بعلمه ولا يعلمها الناس. يعني ان الله نفى حججهم المشاهدة ان النبي هذا لم يطلب منكم مال وليس لكم كتاب فيه تدرسون و...هذا امر مشاهد نفى الله حتى الغيب نفى حججهم وهذا ابطال بانهم ليس عندهم شيء وهم لا يريدون أن يؤمنوا بالنبي ﷺ.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾

هل عندهم من الغيوب ووجدوا فيها انهم على حق. هل وجدوا عندهم غيب ويعلمون انهم على حق، هل وجدوا ان عندهم ثواب عند الله فكل هذا ليس عندهم وانما حالهم هذا

حال معاند ظالم ولهذا أمر الله النبي ﷺ بالصبر ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ **وقال القرطبي** أينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون.

وعن ابن عباس الغيب هنا اللوح المحفوظ هل عندهم الغيب وهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به ويحاجونك عند الله، يكتبون أنهم أفضل منكم وأنهم لا يُعاقبون.

وقيل يكتبون يحكمون لأنفسهم بما يُريدون. فهم ليس عندهم الغيب ولا عندهم شيء وليس عندهم عند الله ثواب أو أجر كل هذا ما كان فلهذا هم معاندون ظالمون بضاعتهم الظلم والجهل يظلمون أنفسهم بهذا ولهذا أمر الله في الآية التي تليها بالصبر.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾

قابل هذا بالصبر. الحكم القدري يُصبر على الماذي منه ولا يتلقى بالسخط والجذع والحكم الشرعي يُقابل بالتسليم والقبول والانقياد التام لآمر الله عز وجل.

الفرق بين الحكم القدري والحكم الشرعي

الحكم القدري: ما قدره الله على الانسان من أمور معينة. أن الله قدر على الانسان ابتلاء أو أمر معين (موت انسان عزيز. مرض ...) فلا بد أن يقابل هذا بالرضى فلا يتسخط ولا يجذع وينبغي الصبر عليه.

والحكم الشرعي: الأوامر التي أمر الله بها والنواهي التي طلب أن نجتنبها. افعل ولا تفعل، فالله أمرنا ان نصلي فلابد ان نسلم ونقبل بذلك، أمر بالزكاة فلابد أن نقول سمعنا واطعنا. ينبغي أن يقابل بتمام القبول والتسليم والانقياد.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾

صاحب الحوت هو يُونُسْ بن متى عليه السلام فلا تشابه في الحالة التي اوصلته هو اوجبت له الانحباس في بطن الحوت، فيُونس حبس في بطن الحوت. والذي أدى به لذلك انه لم يصبر على أذى قومه الصبر المطلوب منه وذهابه مغاضباً لربه حتى ركب في البحر، فاقترع أهل السفينة حين ثقُلت بهم أيهم يُلقون كي تخف بهم وذلك بإلقاء أحد منهم في الماء فيخف حملها وينجو الباقين. وكلما اجروا القرعة كانت تقع عليه فرموه في البحر فلتقمه الحوت فنادى وهو مغتم فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاعترف بظلمه واستغفر الله عز وجل فستجاب الله له وقذفته الحوت من بطنها وطرح بالعراء وهي الأرض الخالية وهو سقيم، فأنبته الله عليه شجرة من يقطين ولولا أن نعمت الله أدركته لطرحه وهو مذموم ولكن الله تغمده برحمته حين قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فستغفر وعاد إلى الله عز وجل فنبز وهو ممدوح وصارت حاله أحسن من حاله الأولى لهذا قال: ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر وجعله من الصالحين الذين صلحت أعمالهم ونياتهم وأحوالهم فامثل أمر ربه وصبر لحكم الله عز وجل. فصبر على اذى قومه حتى بلغ الرسالة وصبر على دعوتهم.

وَهُوَ مَكْظُوم

قال ابن عباس ومجاهد والسدي: مغموم. وقال عطاء ومالك: مكروب

قال القرطبي العراء الأرض الفضاء التي ليس فيها جبل ولا شجر. وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

ثم نُبذ بعراء يوم القيامة مذموماً والدليل على ذلك قوله ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِين لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾

قال ابن عباس رد الله إليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقَبِلَ توبته وجعله من الصالحين بان أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون.

قال ابن عاشور والمراد بحكم ربك هنا امره ما حمله إياه من الارسال والاطلاع بأعباء الدعوة، وجيء بهذه الحال جملة اسمية (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم) فالجملة الاسمية تدل على الثبات، يعني هو في حبس لا يرجى لمثله سراح. مثال: انا كنا ظالمين أي كنا مستمرين على الظلم الكثير لكن ظلمنا أنفسنا تدل على ان الانسان ظلم نفسه مره وقد لا يتكرر. وهو مكظوم يدل على الثبات فهو حاله هكذا وهذا امتنان من الله على سيدنا يونس بالنجاة من ذلك الحبس.

لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ ولم يقل تدركه. تدارك تفاعل من الدرك يعني التحريك وهو من اللحاق. ان يلحق السائرين بعضهم بعضاً وهذا يقتضي تسابقهم وهذا هنا مستعمل في مبالغة إدراك نعمة الله لسيدنا يونس ولهذا جاءت نعمه نكرة تنكير نعمه للتعظيم انها نعمه مضاعفه مكرره تداركت سيدنا يونس ففيه مبالغة لإدراك هذه النعمة ليونس عليه السلام

وقد أورد الله لنا قصة سيدنا يُونس لتعتبر بهذا ولنعلم ان الصبر من أعظم العطاء الذي يُعطاه العبد فلنصبر ونعتبر بقصة يونس فالله تداركه بنعمته وذلك بسبب تسبيحه لما نادى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فلما سبح واعترف بظلمه تاب الله عليه واجتباه وجعله من الصالحين.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾

ثم بين الله شدة غيظ هؤلاء الكفار للنبيﷺ وانهم يريدون إيذاءه بكل أنواع الأذى ويريدون ان يحسدونه بأعينهم حتى لا يستمر في هذا الخير وهذا دليل على ان العين حق وان العبد قد يصاب بالعين وان العين قد تؤدي لضرر عظيم بالإنسان، كما جاءت بهذا أحاديث كثيرة. لكن على الانسان ان يعلق قلبه بالله وتحصين نفسه بالأذكار ويجتهد في صدق اللجوء إلى الله وان يدفع عين الحاسد بالإحسان إليه والصبر على اذاه، فالذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم. فربما يندفع شر الحاسد بسبب هدية أو بسبب نصيحة تعطى له.

فقد حرص أعداء النبيﷺ والمشركين أن يصيبوه ويحسدوه بأعينهم يعني من حسدهم وغيظهم وحنقهم، وهذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي فقد حرصوا على اذيته بكل ما يستطيعوا لكن الله حافظه وناصره وأما الأذى القولي ففيه اقوال بحسب ما توحي إليهم به قلوبهم. فهم بأبصارهم يريدون ان يصيبوه بالعين وبأقوالهم والسنتهم يقولون انه مجنون وتارة انه شاعر وانه ساحر.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال ابن كثير في هذه الآية أن العين حق واصابتها بأمر الله عز وجل. وكما ورد ذلك في كثير من الأحاديث النبوية من طرق متعددة وسأذكره في الفوائد. وهذه الآية دليل ان العين لها تأثير وان اصابتها حق.

قال ابن عاشور وجاء وَإِن يَكَادُ بفعل مضارع وهذا دليل على الاستمرار فالمضارع يدل على تجدد الاستمرار حتى في المستقبل انهم دائماً يكدون بالنبي ﷺ وانهم يحسدونه ويتمنون كل اذى له قولي أو فعلي.

وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ عطف على جملة من فذرني ومن يكذب بهذا الحديث فالله عرف رسوله بعض ما تنطوي عليه نفوس هؤلاء المشركين نحو النبي من الحقد والغيظ تمني زوال النعمة عنه واضمار الشر عندما يسمعون القرآن.

قال ابن عاشور: ولما كان الزلق يفضي الى السقوط غالباً. أطلق الزلق وما يشتق منه على السقوط والانحطاط على وجه الكناية ليزلقونك يعني يسقطونك ويصرعونك.

قال القرطبي: زلق السهم وزهق أي نفذ. والتعبير ليزلقونك يدل على شدة كراهية المشركين للنبي ﷺ وحقدهم الدفين عليه وانهم يريدوا ان يزلقوه بأبصارهم.

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

وما هذا القرآن الكريم الا ذكر للعالمين يعني تقوم بهذا القرآن جميع مصالحهم الدنيوية والاخروية. وهذه الآية فيها ابطال لقولهم وإن لمجنون قالوه في صياغ تكذيبهم بالقرآن فاذا ثبت ان القرآن ذكر بطل ان يكون مبلغه مجنون، فالقرآن ذكر ومبلغه ليس بمجنون وانما هذا ادعاء وافتراء منهم، وكما قال الله في أول السورة ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ وهذا القرآن ذكر كما قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾

الخطوة الثالثة وهي استخراج بعض الفو ئد من السورة

أقسم الله بالقلم ولله ان يقسم بما يشاء ولكن نحن لا يجوز أن نقسم إلا بالله عز وجل. أقسم الله بالقلم وهذا يدل على عِظم مكانة القلم. وهي ثاني السور نزولاً بعد سورة اقرأ (سورة العلق) وهذا دليل على أهمية العلم والقراءة والحث على العلم والحث على القراءة. وكما هو ثابت ان أول ما خلق الله القلم. وعلى الانسان ان يحرص على هذا ويجتهد في العلم والقراءة والتحصيل.

بدأت السورة بحرف من الحروف المقطعة وقد وتمت الإشارة إليها بالتفصيل عند الدرس الأول من تدبر سورة القلم فرجعي إليه.

أثبت الله للنبي ﷺ الكمال ونفى عنه الجنون والسحر والكهانة واثبت الله للنبي ﷺ الأجر العظيم. وكما وضحت في تفسير (غير منون) هناك من قال تعني الاجر الكثير الغير منقطع. وهناك من قال الذي ليس فيه مِنه من أحد على الرسول ﷺ.فالنبيﷺ له اجر عظيم.

وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم نستفيد من الآية أن النبي كان على خلق عظيم كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن. فالله مدح النبيﷺ بالخلق العظيم فنجتهد نتصف بهذا ونسأل الله أن يرزقنا حسن الاخلاق ونسأل الله بدعاء النبي:(اللهم اهدني لأحسن الاخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها إلا أنت).

تحدى الله هؤلاء المكذبين وأن الله يدافع عن نبيه ويدافع عن كل مؤمن وسيعلم هؤلاء من هو المفتون ومن هو المُعْرِض عن الله عز وجل.

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُون بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُون هذا دفاع عن النبي ﷺ وتثبيت لدعوته وان غيره هو المفتون وليس النبي ﷺ .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين

الله يعلم المهتدي ويعلم الضال والله هدى الانسان وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن عرف الإنسان طريق الضلالة وطريق الهدى فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها.

أمر الله النبيﷺ بان لا يطع المكذبين ونستفيد من هذا ان لا نطع المكذبين ولا نسير وراء الظالمين ولا هؤلاء المكذبين.

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون

نفهم من هذا أن المكذب ومن هو على باطل يود يداهن أهل الحق فيداهن معه حتى يصدهم عن الحق في ضلال حتى يصدوهم عن الحق، فمن هو على باطل يعلم في نفسه انه على باطل. فحتى فرعون في نفسه كان يعلم انه على باطل. {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}. فأهل الباطل يعلمون انهم على باطل ويودون ان يداهن اهل الحق، فحين يتنازل اهل الحق عن مبادئهم تبدأ المفاوضات والتنازلات ويُداهنوا حتى يتخلوا عن الحق الذي معهم.

وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِين هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيم

الحلاف هو الذي يحلف كثيراً. الانسان عليه ان لا يُطع الحلاف الذي يهين نفسه بهذا الامر الذي يمشي في الناس بالكذب والنميمة والزور والظلم.

مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم

هذا دليل على ان من أكبر الشر ان يمنع الانسان الخير ويعتدي على الناس ويظلمهم، فعلى الانسان ان يحرص على فعل الخير وان يحرص على فعل الخير للآخرين كما يحرص على فعله لنفسه.

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين المكذب المعرض يأتي بحجج واهية ويقول هذه أساطير الاولين يعلم في نفسه انه الحق وان كتاب الله حق ولكنه لا يريد أن يؤمن ويأتي بحجج واهية وربما يغتر بماله ويغتر ببنيه وبما عنده من القوة الظاهرة التي لا تنفعه عند الله شيء.

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُوم ان الله عز وجل يهين المكذبين ويهين أهل الضلال فالله وسمه على انفه (خرطوم) بهذه العلامة إهانة له.

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِين وَلاَ يَسْتَثْنُون

الكل في ابتلاء واختبار، الله اختبرهم وابتلاهم كما ابتلى أصحاب الجنة. فلإنسان حياته اختبار **{إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}** والانسان خلق مبتلى خلق ليختبر خلق. اتفق أصحاب الجنة على ان لا يعطوا الفقير ولا المسكين وأنهم سيجزون الشجر ويحرموا الفقير والمسكين وصاحب الحاجة ولا يستثنون. وهذا دليل على أن على الإنسان ان يستثني فلا بد ان يقول في كل امر ان شاء الله، لان الانسان لا يعلم هل سيبلغ الامر أم لا.

الله عاجلهم بالعقوبة يقول القرطبي في هذه الآية دليل ان العزم مما يؤاخذ به الانسان وان لم يفعل. فهم عزموا على ان يفعلوا (سيجزونها ويقطعونها حتى لا يُعطوا السائل شيء) فعاجلهم الله بالعقوبة فالعزم يؤاخذ به الانسان وان لم يفعل لأنهم عزموا على ان يفعلوا فعاجلهم الله بالعقوبة قبل فعلهم **{وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم}** هو أراد الالحاد وأراد أن يظلم فأذاقه العذاب الأليم. قال النبيﷺ إذا التقي مسلمين بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه فالعزم يؤاخذ به الانسان في العقوبة. أما عند التعامل مع البشر مثل ان يعدنا أحد بشيء ولكن لم يفعله لاي سبب لان هناك ما عاقه

عن فعله (مرض. حادثة) فلا يؤاخذ. ويؤاخذ بالعزم بالعقوبة عند التعامل مع الله ولا يؤاخذ حين تعامل البشر بعضهم بعضاً لان هنا العزم على الشيء ليس بمنزلة فعله. مثل الفائدة التي استخرجها الشيخ السعدي في قصة موسى ﷺ مع الخضر في سورة الكهف حينما لم يستطع الصبر. فالله يؤاخذ الانسان بالعزم لإنه عزم ونوى.

فَتَنَادَوا مُصْبِحِين

التنادي دليل على أن الانسان قد يعزم على فعل شيء سيئ وتدعوه نفسه لعدم فعله ولكن بسبب صحبة السوء يقدم الإنسان على فعله. نادى بعضهم بعضاً لانهم لم يكونوا كلهم مستعدون لنفعل ما اتفقنا عليه إن كنتم عازمين على هذا. عزموا ان لا يدخلنها اليوم مسكين ونسوا الله عز وجل والمال مال الله.

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون

لما رأوا الجنة قد أصبح بها هذا **قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون** هنا اعترفوا بضلالهم واعترفوا بأنهم أذنبوا **{بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون} {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُون}** هنا فائدة التسبيح الانسان يلجأ إلى ويسبح ويذكر الله عز وجل ويعترف بظلمه لنفسه، فالله حينها يسامحه ولا يعاقبه.

كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون انتقلت الآيات للحديث عن اليوم الاخر. فالإنسان عليه أن يعلم ان عذاب الأخيرة شديد والدنيا لا تساوي عند الله شيء وان الانسان مهما مر به من عذاب في الدنيا لا يساوي عند الله شيء. يُؤتى بأبئس اهل الدنيا يغمس غمسه واحده في الجنة ثم يستخرجه الله عز وجل فيقول له عبدي هل مر بك شقاء قط هل مر بك بؤس قط فيقول لا ينسى كل الشقاء، فكيف إذا دخل الجنة وتنعم بنعيمها. وغمسه واحده في النار تنسي كل النعيم الذي رأه في الدنيا. ويُؤتى بأنعم اهل الدنيا وهومن أهل النار فيغمس غمسه واحده في النار فتنسيه كل النعيم الذي عرفه. فالدنيا لا تساوي شيء. وهنا العلم لا بد ان يكون فيه

يقين. فبعضهم يدعي العلم وهو لا يعلم. ولكن ان لامس العلم اليقين فسيؤدي بالإنسان للعمل الصالح فلا يكون الا تفكيره في الآخرة والاجتهاد في الطاعة.

عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُون على الإنسان ان لا يقنط من رحمة الله مهما أذنب. فهم اعترفوا بذنبهم ورجوا ما عند الله عز وجل والانسان عليه ان يكون راغب بما عند الله عز وجل.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم

ذكر الله المتقين وما أعده لهم من النعيم فالله لا يجعل المسلمين كالمجرمين ثم أبطل الله حجج المكذبين المشركين لماذا لا تؤمنون بالنبي مالكم كيف تحكمون ...... فالله أبطل جميع حججهم المشاهدة والغيبية. فالنبي لا يريد مالاً ليس عندكم كتب أبطل الله حججهم المشاهدة وأبطل انهم يعلمون الغيب فهم ليس عندهم حتى الغيب ولا عندهم شيء فلماذا لا يؤمنون بك يا نبي الله. إذن أبطل الله حجج هؤلاء الكفرة.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُون هم لم يسجدوا لله في الدنيا من لم يسجد وينكسر لله في الدنيا لا يستطع في الآخرة. فمن أعظم النعم لله ان ينكسر ويذل ويسجد ويخضع لله عز وجل.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ هكذا حال المشركين المعرضين يكونوا في حاله من الذل والمهانة فهم كانوا يدعون للسجود في الدنيا وهم سالمون ولم يكونوا يسجدوا.

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون

ينبغي على الانسان العاصي ويقول إن الله اعطاني مالا واعطاني الصحة واعطاني اولادا قد يكون استدراج فنعم الله على عبده مع معصيته ليست دليل على رضى الله بل هي استدراج وذلك يعني ان الله يعطيه الدنيا ولا يعاجله بالعقوبة في الدنيا ويؤخرها عنه في الدنيا ويعاجله بها في الاخرة. فالعبد عليه ان لا يغتر بالدنيا. فالله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولكن لا يعطي الدين إلا لمن يحب. فحين نرى الكفار موسع عليهم في الدنيا بيوتهم وعمارتهم ... وفتح الله عليهم في الدنيا فالدنيا لا

تساوي عند الله شيئا فغمسه واحده تنسي الانسان كل شيء. فدليل الرضى ان يكون في طاعة الله وان يكون يحب الدنيا. فالعبد قد يُستدرج فيرى الأولاد والأموال فيغتر ويقول ان الله راضي عني. فبسط الدنيا ليست علامة رضى وليست علامة سخط فقد يكون عبد شاكر فتح الله عليه في الدنيا واعطاه فالله يعلم انه سيستخدم ماله هذا في خدمة الإسلام والمسلمين. فالشاهد ان الدنيا ليست دليل على الرضى ولا دليل على السخط. فالله اعطى الدنيا للكافر ولكن الدين لا يعطيه الا لمن يحب. فالله يكيد بالكافر وعلى الانسان ان يصبر فالله أمر نبيه بالصبر وأن يقابل كل الابتلاءات التي تواجهه في حياته بالصبر.

وقد أورد الله لنا قصة سيدنا يُونس لتعتبر بهذا ولنعلم ان الصبر من أعظم العطاء الذي يُعطاه العبد فلنصبر ونعتبر بقصة يونس فالله تداركه بنعمته وذلك بسبب تسبيحه لما نادى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فلما سبح واعترف بظلمه تاب الله عليه واجتباه وجعله من الصالحين.

ثم بين الله شدة غيظ هؤلاء الكفار للنبيﷺ وانهم يريدون إيذاءه بكل أنواع الأذى ويريدون ان يحسدونه بأعينهم حتى لا يستمر في هذا الخير وهذا دليل على ان العين حق وان العبد قد يصاب بالعين وان العين قد تؤدي لضرر عظيم بالإنسان، كما جاءت بهذا أحاديث كثيرة. لكن على الانسان ان يعلق قلبه بالله وتحصين نفسه بالأذكار ويجتهد في صدق اللجوء إلى الله وان يدفع عين الحاسد بالإحسان إليه والصبر على اذاه، فالذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم. فربما يندفع شر الحاسد بسبب هدية أو بسبب نصيحة تعطى له.

الخطوة الرابعة المتشابه وسبب اختيار الالفاظ واللمسات البيانية

تم التحدث عن الحروف المقطعة في بداية السورة فارجعي إليها.

قال تعالى في سورة الطور فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُون وقال في القلم {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون} فزاد كَاهِنٍ في سورة الطور.

على رأي د. فاضل السامرائي: أن هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة
منها انه فصل في سورة الطور بذكر أقوال الكفرة في الرسول فذكروا انه شاعر وكاهن ومجنون {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} وقالوا انه كاذب {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ} وفي سورة القلم لم يذكر غير قوله لمجنون. ففي سورة الطور تفصيل فناسبه هذه الزيادة. ومنها ايضاً انه ذكر في سورة الطور
{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}
والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجن فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.
ومنها ايضاً انه ذكر السحر في سورة الطور {أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ} فناسب ذكر السحر ذكر الكهنة.
توسع في القسم في سورة الطور بخلاف سورة القلم فقد اقسم في سورة الطور بالطور وبالكتاب المنشور وبالبيت المعمور وبالسقف المرفوع وبالبحر المسجور. في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بالقلم وما يسطرون فقط، وتوسع في سورة الطور فناسب هذا الزيادة بكاهن.
ذكر في اخر سورة القلم قول الكفرة إنه {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} ولم يزد عن هذا القول فرد عليهم في أول السورة بنفي الجنون {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} عنه فناسب اخر السورة أولها.
ناسب التأكيد بالباء الزائدة (بمجنون) التأكيد باللام أيضاً ويقولون انه لمجنون لان الباء لتوكيد النفي فالله نفى عنه الجنون، واللام لتوكيد الاثبات لان المشركين قالوا ذلك وأكدوه.

الفرق بين هُمزة وهمّاز

وردت همّاز في سورة القلم {هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ} ووردت همزه في سورة الهمزة {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}

همّاز صيغة مبالغة على وزن فعال تدل على الصنعة والحرفة والمداولة كما نقول حداد. نجار. خياط فحينما تصف شخص بكذاب فكأن صنعته الكذب. أما هُمَزَة فهي مبالغة بالتاء، وهنالك أكثر من نوع للمبالغة بالتاء. يقول أهل اللغة ما بُولغ بالتاء يدل على النهاية في الوصف. فهمزة تدل على انها غاية ونهاية في الوصف، كما نقول الصاخة. الطامة. القيامة. فهذا التأنيث يدل على الغاية في المبالغة أي انه وصله للنهاية في هذا الوصف.

استعمال همزة لان الله ذكر الوصف وتعرض للنتيجة فعاقبة ونتيجة الكفار الويل جاءت الآية {كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَة} فالحطمة بنفس صيغة همزة وهي صيغة مبالغة لذلك ناسب ان يذكر بلوغه الغاية في الاتصاف بهذه الصفة وانهم بلغوا النهاية في هذا الوصف. أي بلغوا النهاية في صفة الهمز وتفيد أيضا في ان الجزاء من جنس العمل فكما انه بالغ في الهمزة فسيكون مصيرة مماثلاً في الشدة فالذي يتعدى على الناس في قوانين الدنيا فان عليهم ناراً مؤصدة وتكون نهايتهم في الاخرة الحطمة. فالذي يبالغ في الهمز يكون مصيرة مبالغا في الشدة.

اما صيغة همّاز التي استخدمت في سورة القلم لان الكلام في التعامل مع الناس وتتناول السلوكيات ولم تذكر العاقبة الا قليلاً {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُوم} ولم يذكر شيء اخر من عاقبة مرتكب هذا الفعل وإنما ذكر صفاتهم حلاف. هماز. مهين. مشاء بنميم. فهذه الصفات لا تستوجب الطاعة ولم يأتي ذكر العاقبة في هذه السورة فهي كلها في التعامل. جاء ان كان ذا مال وبنين فينبغي الا يُطاع ولو كان ذا مال وبنين فهو يمتنع بماله وبنيه والمال والبنين هم سبب الانقياد والخضوع لله عز وجل فلا تطع كل حلاف فهذا هو صنيعه ووظيفته فالسورة ذكر التعامل مع الناس فجاءت بصيغة همّاز والعلم عند الله. اذن سورة القلم لم تأتي بنهايتهم بل الامر بعدم اطاعتهم وسورة الهمزة فقد ذكرت نهايتهم فلذا أتت بمنتهى الوصف همزة.

الفرق بين أثيم وآثم

في سورة القلم قال تعالى {مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}

الصيغ كلها من صيغ المبالغة. واستخدام أثيم هنا لان الصفات كلها حلاف مشاء ... وردت في السورة بصيغة المبالغة فجو السورة جو مبالغة فلذا أتى بأثيم التي تدل على كثرة الاثم فهي صيغة مبالغة تدل على انه فعل الاثم كثيراً حتى صار ديدنه أي كثرة وقوعه فيه. أما أثيم فهي اسم فاعل. فهو أثيم لان فعل أي من الصفات (حلاف. هماز...) تجعله أثيماً فهو اجتمعت فيه جميع الصفات وهذه الصفات تستوجب انه أثيم وليس آثم. فاذا اجتمعت فيه كل هذه الصفات فلابد أن يكون أثيماً.

الفرق بين {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ} في سورة ق وبين {مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}

مريب أي من يتعامل معه يرتاب فيه وهو رجل مجرم مريب لا يمكن ان يستقر إليه لان كل حركاته أثم. فهو شخص لا يستريح اليه انسان فهو مريب معتدي. وفي سورة القلم ذكر الله صفات متعددة ثم ذكر بعدها أثيم دليل على انه مريب يحقق هذه الريبة بأتم. فالله ذكر صفات عديدة اتصف بها هذا المكذب وأتى بعدها بأثيم لتدل على اجتماع جميع الاثم فيه بسبب اتصافه بكل هذه الصفات السيئة.

في سورة المطففين {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} وفي سورة القلم {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ}. هنا اتحد في الوصف التكذيب يعني التكذيب ف وي سورة القلم التكذيب في سورة المطففين. قال ابن الثقفي الاندلسي ان آية سورة القلم نزلت في شخص بعينه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل غير ذلك وهو القائل سأنزل مثلما أنزل الله. وكان مظهرا لعداوة النبيﷺ وكان أكثر قريش مال وبنين فسورة القلم كانت في شخص معين فأغنت صفاته المذمومة عن ذكر اسمه وذكر الله ان اول عقاب سينزل بأنفه وكان ذلك يوم بدر وهذا وعيد خاص لمعين فالله أنزل عليه عقاب في الدنيا وسيوفيه عقابه في الاخرة. فهي في شخص محدد لذا قال تعالى سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ. اما آية المطففين فليست في شخص معين. لذا قال بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون

أي تكذيبهم بالوحي وبيوم القيامة هو الران الذي طغى على القلب ومنعهم من فهم كتاب الله.

كل السابق يا أخواتي عبارة عن اجتهادات فنحن نجتهد ان نتدبر القرآن ونجتهد ان ندفع دعاوي التكرار بان القرآن فيه آيات مكررة او غير ذلك فمن يقول بذلك لا يفهم اللغة العربية ولا يفهم شيء عنها.

كيف نتدبر السورة ونمررها على قلوبنا

- ❖لكي نتدبر لابد من التكرار والترتيل.
- ❖سؤال الله عز وجل التوفيق.
- ❖استخراج أدعية من الآيات. على حسب تيسير الله عليك. مثال حينما أرتل قوله نون والقلم ادعو الله اللهم افتح عليّ في العلم، اللهم حبب العلم لي ويسره لي وارزقني علماً نافعاً.
- ❖الترتيل والقراءة جهراً فالجهر يمنع الشرود والوساوس.
- ❖حين اقرأ السورة ولم أجد قلبي قد تأثر عيني لم تبكي اسأل الله ان يرزقني البكاء من خشيته
- ❖حين تقرئي كذلك العذاب... تفكري في عذاب الاخرة وأهوالها فكيف لا يبكي القلب وهو يعلم أنه مفرط ومقصر، كيف لا يبكي من خشية هذا العذاب ومن الاستعداد للوقوف بين يديّ الله وتسالي ان ينجيك الله من العذاب. فالنبي كان يقول والله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم وأنا رسول الله. فان لم تبكوا فتباكوا أي ابكي حتى ارزق هذا البكاء ولا يعتبر هذا تصنع، لان التصنع حين أفعل هذا امام الاخرين حتى يقولوا انه خاشع. وان لم تجدي قلبك فسألي الله ان يمن عليك بالخشية والخشوع.

- ❖حين تقرئي يوم يكشف عن ساق ... ابكي لما فرطي فيه من سجود ومن الذل والانكسار لله عز وجل. وان تبكي الحمدالله يا ربي انني سليمة وأستطيع ان اسجد واطيل فيه.
- ❖اسال الله ان يحول بيني وبين المعاصي وبين التقصير الذي يمنعني من البكاء من خشية الله. واساله ان يفتح عليّ

اسأل الله ان يرد الامة للقرآن مرداً جميلاً يرضيه عنا وان يوفقنا لتدبر كتابه.

بهذا نكون قد انتهينا من تدبر سورة القلم نبدأ المرة القادمة بإذن الله تدبر سورة الحاقّة (أسال الله أن يرزقنا أعماراً مباركة نفنيها في تدبر كتابه وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات أباءنا وأمهاتنا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء ويجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة دون سابقة عذاب ولا حساب).